

بسم الله الرحمن الرحيم
الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية، وأثر ذلك في مناقشة شبهة القدرية
والجبرية في القدر

إعداد: خالد بن عبد العزيز آل سليمان
<http://faculty.kfupm.edu.sa/ias/khaledan>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لتجلية الفرق بينهما يناسب التمهيد للفرق ببيان المراد منهما، وإعقابه بتحديد

النسبة بين أفرادهما

المراد بالإرادة الكونية والشرعية:

1. الإرادة الكونية: هي مطابقة للمشيئة، والمقصود بها أن كل ما يحصل في هذا الكون

فهو بمشيئة الله وقدره وخلقه، ومن هنا سميت بالإرادة الكونية والقدرية والخلقية.

وهذه الإرادة لا يخرج عنها شيء مهما كان صغيراً؛ قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، كما تشمل النفع والضرر، الطاعة والمعصية؛ قال

تعالى: (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا)، وقال:

(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ).

2. الإرادة الشرعية: هي مطابقة للمحبة، والمقصود بها: أن كل ما يشرعه الله من

الأحكام ويأمر به فهو مراد الله، بمعنى محبوب له تعالى، ويمثل دينه الذي ارتضاه،

ومن هنا سميت بالشرعية والأمرية والدينية.

وهذه الإرادة قد تتحقق كحصول الشكر لله من المؤمن، وقد لا تتحقق كحصول

الكفر من الكافر، فالله تعالى لا يريد الكفر بمعنى لا يجبه ولا يرضيه ذلك، ومع ذلك

لم يتحقق مراده؛ قال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ

وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ).

الفرق بينهما: من خلال التوضيح السابق يتضح أن بينهما فرقين رئيسيين:

- أن ما يريد الله كونا لا بد أن يقع، إذ لا يحصل في ملكه شيء خارج عن إرادته. أما ما يريد شرعاً فقد يقع، وقد لا يقع، كما مر التمثيل لذلك.
- أن ما يريد الله تعالى شرعاً لا بد أن يكون محبوباً له؛ لأن الله تعالى لا يشرع شيئاً ويأمر به إلا وهو محبوب له. أما ما يريد كونا فقد يكون محبوباً له تعالى؛ كحصول الطاعة، وقد لا يكون محبوباً له؛ كحصول المعصية.

وكلا الإرادتين مستعملتان في كلام الناس؛ فمثلاً: قول الناس: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) مثال على الإرادة الكونية. وقولهم: (هذا يفعل ما لا يريد الله) مثال على الإرادة الشرعية، بمعنى لا يحبه الله ولا يرضاه، ولم يشرعه ولم يجعله من الدين.

النسبة بين أفرادهما:

النسبة بين أفرادهما هي العموم والخصوص الوجهي؛ إذ كل منهما أعم من وجه وأخص من وجه، فمثلاً: هما يجتمعان في الطاعة التي تحصل من العبد، فهي مرادة كوناً وشرعاً. وتنفرد الإرادة الكونية في المعصية التي تحصل من العبد فهذه مرادة كوناً لا شرعاً؛ فالكونية أعم من هذا الوجه. كما تنفرد الإرادة الشرعية في الطاعة التي تركها العبد، فهذه الطاعة مرادة شرعاً لا كونا، ومن هذا الوجه فالشرعية أعم. هذا والله أعلم.

مناقشة شبهة القدرية والجبرية في القدر:

لقد انطلق الجبرية والقدرية من تفسير الإرادة بالكونية فقط، ولم يلتفتوا إلى الشرعية، فوقعوا في إشكال عند الجواب عن السؤال الآتي: الإنسان تصدر منه المعاصي، فهل الله يريد هذه المعاصي؟

وقد ذهبت كل طائفة إلى رأي معاكس للرأي الآخر:

- إذ بلغت الجبرية في إثبات إرادة الله تعالى، ونفوا إرادة العبد!
- أما القدرية فبالغوا في نفي إرادة الله تعالى وقالوا إن أفعال العبد ليس لله إرادة فيها!

- أما أهل الحق والسنة فتوسطوا وأثبتوا للعبد إرادة ومشية - خلافا للجبرية - ولكنها ليست مطلقة - كما يقول القدرية - بل مقيدة بإرادة الله تعالى، وقالوا إن المعصية التي تصدر من العبد وإن كانت مرادة كونا إلا أنها غير مرادة شرعا. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

لقد ضل في القدر طائفتان مشهورتان وذهبت كل طائفة إلى رأي معاكس للآخر، وهما الجبرية والقدرية:

- أما الجبرية: فبالغوا في إثبات القدر، وقالوا: ليس للإنسان أي مشية في أفعاله، إذ مردها إلى الله وحده، فالإنسان كريشة في مهب الريح يقلبها الهواء كيف شاء!! ولا شك في بطلان هذا الرأي، لأنه مخالف للمحسوس؛ إذ ندرك بحواسنا أن الإنسان مخير في أمور كثيرة، ومناقض للشرع والعقل؛ إذ يترتب عليه إبطال التكليف، وعموم الفوضى؛ إذ لكل إنسان أن يفعل ما يريد، بدعوى أنه مجبر على ذلك!!
- أما القدرية: فبالغوا في نفي القدر، وقالوا: إن الإنسان يخلق أفعاله، فلا إرادة فيها لله، بل ذهب الغلاة منهم إلى أنه لا علم له بما سلفاً!! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ومما بنوا عليه رأيهم: أن الإنسان تصدر منه المعاصي، والله لا يريد المعاصي! ولا شك في بطلان هذا الرأي؛ لأن الإنسان وإن كان له مشية واختيار - خلافا للجبرية - إلا أنها ليست مطلقة - كما يرى القدرية - بل مقيدة بمشيئة الله تعالى، فالمعاصي داخلة تحت مشيئة الله الكونية؛ إذ لا يحصل في ملكه شيء خارج عن إرادته، لكن هذه المعاصي غير داخلة تحت إرادته الشرعية ومحبتة، وهذا جائز عقلا وحساً - والله المثل الأعلى - لهذا نجد أن المريض يشرب من الدواء بإرادته وهو لا يجبه، كذلك ما يحصل في الكون فهو بإرادة الله الكونية، وإن كان بعضه قد لا يجبه سبحانه، ولكنه

أذن به ومكّن العبد من فعله لحكمة ترجع إليه سبحانه، وهو قادر على منعه من ذلك إذا لم يردّه إرادة كونية، فحصول المعاصي مراد لله كوناً وغير مراد شرعاً.

وبهذا اتضح لنا أن الرأيين مبنيان على تفسير إرادة الله تعالى بالإرادة الكونية فقط، وعدم التمييز بينها وبين الإرادة الشرعية، ومن هنا حصل عندهم التناقض والاضطراب. هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه/ خالد بن عبد العزيز آل سليمان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
<http://faculty.kfupm.edu.sa/ias/khaledan>